المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثاني والاربعين

١ مارس (اذار) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٥ ربيع اول سنة ١٣٣١

الاستشهاد في سبيل الاكتشاف

الكبتن سكوت ورفاقهُ

كان لما اصاب الكبتن سكوت ورفاقهُ الذين رافقوهُ الى القطب الجنوبي وقع شديد في كل انحاء العالم . وصل هذا المكتشف الشهير الى القطب وقد ثبت ذلك بما ذكرهُ عن العلامات والآثار التي تركها امندسن هناك ثم لقي حتفهُ هو ورفاقهُ في رجوعهم . ولم يكن بينهم وبين المركز العمومي الذي كانوا قد اعدوهُ للالتجاء اليهِ الاَّ ١٥٥ ميلاً حين فاجأتهم العواصف واقامت في وجههم ما لا يذلَّلُ من الحجبات

انقطعت اخبار سكوت ورفاقهِ من اوائل السنة الماضية ولم يُعرف عنهم شيء بعد ذلك حتى وصلت باخرتهم تِرّانوفا الى جزيرة زيلاندة الجديدة وكانت قد اقلعت من لندن في اول يونيو سنة ١٩١٠ وذلك اول عهدها بخوض البحار الشاسعة وفيها بعثة سكوت وهي تامة العدة مجهزة بكل ما يلزم لها ومما زاد في اتقان معداتها وابلاغ ترتيبها حد الكمال خبرة سكوت السابقة في مغالبة المصاعب ومعاونة غيرهِ ممن سافروا الى الاصقاع الجنوبية وعرفوا بالاختبار ما يحتاج اليهِ المكتشف فيها . واجتمع حولهُ من الاعوان والعلماء ما لم يجتمع حول غيرهِ من جميع الذين اقتحموا بلاد الجليد

وصلت بهم الباخرة الى خليج مكمردو بعد ان قاسوا اهوال البحر في شدة هيجانهِ واضطراب امواجهِ فانقسموا هناك الى ثلاث فرق نزلت الفرقة الاولى الى البر لاقامة مركز عمومي على رأس ايفنس وكان سكوت فيها ونزلت الثانية في غرب الخليج وحاولت الثالثة النزول الى الارض المسماة ببلاد الملك ادورد السابع فلم تتمكن من ذلك لكثرة الجليد فنزلت في رأس أداري

وكابد رجال الفرقة الثالثة شدائد كثيرة فان العواصف دهمتهم من اول الامر فنضوا فصل الشتاء في كوخ من الثلج يقتاتون بلحم القتم وقليل من الزاد الذي بقي معهم فدب فيهم المرض ولم يصلوا الى المركز الصيفي الا في اوائل شهر نوفمبر الماضي

ولما عادت الباخرة باخبارهم وما جرى لهم حتى شهر يناير من سنة ١٩١٢ علم الناس ان العلماء بينهم يبذلون اقصى جهدهم ليقوموا حق القيام بما انتدبوا له حتى ان الدكتور ولسن اقتحم مخاطر جمة فقضى اشهر يونيو ويوليو واوغسطس (وهي اشهر الشتاء هناك) في رأس كروزير يدرس اطوار الطائر المعروف ببطريق الامبراطور وطبائعه في إفراخه وتربيته لصغاره في فصل الشتاء . وكان الموكلون برصد المظاهر الجوية وحركات الرياح وضغط الهواء واختلاف درجة الحرارة وامواج المد والجزر وجاذبية الارض ومغنطيسيتها مواظبين على اعمالهم يرقبون التغيرات ويضبطونها بدقة وعناية . ومثل ذلك يقال في الموكلين بالابحاث الجيولوجية والبيولوجية وغيرها من اغراض الرحلة

وكان آخرون يهيئون معدات التقدم نحو القطب ويقيمون المستودعات في الطريق . واخذ سكوت في التقدم الى القطب في الثاني من شهر نوفمبر سنة ١٩١١ ولكنه عاد فتأخر شهراً بسبب موت نصف الدواب التي كانت معهم . واتى الكوماندر ايفنس بآخر اخبارهم في السنة الماضية بعد ان تركهم وهم على ١٥٠ ميلاً من القطب وكانت امورهم حسنة في ذلك الوقت

ولم يعرف عنهم شيء بعد ذلك الا ما وجد في اوراق سكوت الذي اعتنى بتدوين كل الحوادث بالضبط والتدقيق رغماً عما كان يحيق به من المخاطر . ومما يدل على ثباته وبعد نظره انه لما رأى ان لا مناص من الهلاك جلس يكتب تفاصيل النوازل التي حلت بهم كما سيجيء

وقد وصل الى القطب في الثامن عشر من يناير سنة ١٩١٢ وكان معه الدكتور ولسن والكبتن اوتس والملازم بورز والضابط ادغر ايفنس . وقاسوا كثيراً من الشدائد في عبور نهر الجليد المسمى بيردمور فاصيب ايفنس بارتجاج الدماغ وقضى نحبه هناك . ثم اشتد الصقيع والريح فمرض الكبتن اوتس واعوزهم الوقود . وفي السادس عشر من شهر مارس رأى اوتس ان الموت مدركه لا محالة وانه اصبح عبئاً على رفاقه فتخلف عنهم ليلقى حتفه . وواصل سكوت وولسون و بورز السير لكن الزمهرير اشتد عليهم وهم على احد عشر ميلاً من احد المستودعات فتعذر عليهم التقدم ولم يكن لديهم من الزاد الا ما يقوتهم يومين .

وكتب سكوت رسالتهُ الاخيرة هناك وكان قد انقضى عليهم اربعة ايام وهم في ذلك المكان. وقد خرج البعض في ذلك الوقت نفسهِ من المركز العمومي لقائهم واعانتهم ويظهر انهم اقتربوا منهم كثيراً الاَّ انهم لم يعثروا عليهم. ولم يُهتدَ الى جثث سكوت ورفيقيهِ الاَّ في شهر نوفمبر الماضي بعد ان انقضى فصل الشتاء

هذه نهاية رجل من اكبر المكتشفين وقد كان كبير النفس يثير في رفاقهِ روح الاخوة والثبات في قضاء الواجبات ويعلّمهم بمثالهِ قدر التعاب الرجال قدرها ويكتسب محبتهم لهُ وتعلقهم بهِ حتى ان الذين رافقوهُ في رحلتهِ الاولى الى القطب سنة ١٩٠١ كالدكتور واسن لم يحجموا عن اقتحام المخاطر معهُ مرة ثانية. وقد قال فيهِ الدكتور شاركو «انهُ فاتح الطريق الى القطب». وحِرص سكوت على التدقيق في التقارير وما اظهرتهُ رحلتهُ الاولى وبقايا رحلتهِ الثانية من الحقائق والفوائد العلمية كافٍ لان يغني عنهُ كل تهمة توجه اليهِ من انهُ كان يقصد باعمالهِ اكتساب الشهرة والصيت

كانت ولادتهُ في مدينة ديفونبورت ببلاد الانكليز سنة ١٨٦٨ ودخل مدرسة عسكرية سنة ١٨٨١ ثم دخل في سلك البحارة في الاسطول الانكليزي وتقلب في المناصب حتى رقي الى رتبة كوماندر سنة ١٩٠٠. ولما رجع من رحلتهِ الاولى سنة ١٩٠٤ رقي الى رتبة كبتن ومنح لقب كوماندر من رتبة فكتوريا الملكية ونال بضعة نياشين منها النيشان الملكي ونيشان خاص من الجمعية الجغرافية الملكية

والدكتور ولسن من متخرجي جامعة كمبردج وكان في الرحلة الاولى مصوّراً وموكلاً بالبحث في الحيوانات الفقارية وفي الرحلة الثانية رئيس القسم العلمي

اما الرسالة المشار اليها آنفاً فقد وجدت في خيمة سكوت الى جانب جثتهِ وهذا تعريبها

ان فشلنا لم يكن لاننا اخطأنا في تدبير امورنا بل لانهُ نزلت بنا نوازل لم تكن منتظرة فاولاً اننا فقدنا دواب النقل في مارس سنة ١٩١١ فاضطررتُ ان اوخر سفرنا وان اقلل المؤونة التي اخذناها معنا

وثانياً اشتد البرد وثارت العواصف كل مدة السفر ولاسيما حينما كنا عند الدرجة ٨٣

وثالثاً وجدنا الثلج رخواً ليناً فابطأ سيرنا عليهِ

وقد قاومنا هذه العوائق بهمة ونشاط وتغلبنا عليها ولكنها قلّلت مؤنتنا ولولا مصيبة اخرى حلت بنا لوصلنا الى القطب ورجعنا منهُ ومعنا زاد كافٍ لاننا كنا قد استعددنا لهذه الطوارئ. اما المصيبة فهي مرض الرجل الذي كنا نحسبهُ اقوى منا كلنا واصبرنا على المشاق

وهو ادغر ايشنس . وكان امامنا نهر الجليد المسمى بيردمور وعبوره قليل الصعوبة في الصيف ولكنها لم تصح يوماً واحداً في رجوعنا ومعنا رجل مريض نضطر الى حمله فانهُ وقع واصيب بارتجاج الدماغ ثم مات بعد ان هدّ حيلنا وتركنا وفصل الزوابع قد ادركنا . ولكن ذلك كلهُ لم يكن شيئاً مذكوراً في جنب ما وجدناهُ مخبوءاً لنا . فما من مخلوق كان يظن اننا نصادف البرد الذي صادفناهُ في هذا الفصل من السنة فقد كانت درجتهُ ٢٠ الى ٣٠ تحت الصفر بين عرض ٨٥ و٨٦ ولكننا لما رجعنا الى العرض ٨٢ وفي مكان اوطأ من الاول ١٠٠٠٠ قدم رأيناهُ ٣٠ تحت الصفر نهاراً و٤٧ تحت الصفر ليلاً والريح تعصف في وجوهنا صرصراً مستمرًّا

وبيّنٌ من ذلك انما اصابنا انما سببهُ هذا البرد الشديد الذي جاءنا بغتةً على غير انتظار وفي غير ميعادهِ وغير مكانهِ فلم يكن في الحسبان . ولا اظن ان احداً من بني الانسان اصابهُ ما اصابنا في مثل هذا الشهر . وكان في الامكان ان نجو لو لم يمرض رجل آخر منا وهو الكبتن اوتس ويتفد الوقود من مستودعنا وتعترض الزوابع بيننا وبين المستودع التالي وهو منا على احد عشر ميلاً فقط حيث كنا نرجو ان نجد كل ما نحتاج اليهِ

حقًّا لقد جازت ملمات الزمان حدودها واستنزفت آفاتهُ مجهودها

صرنا على احد عشر ميلاً من المستودع الذي ودعنا فيهِ طعامنا ووقودنا وليس معنا سوى طعام يومين ووقود لتسخين طعام يوم واحد فاقمنا في هذه الخيمة اربعة ايام لا نستطيع الخروج من شدة العاصفة ونحن على غاية الضعف وانا لا اكاد استطيع الكتابة . واذا قصرتُ نظري على نفسي فانا لست نادماً لان هذه الرحلة برهنت على ان الانكليز لا يزالون يستسهلون تجشم المشاق والتعاون في الضراء ومقابلة الموت الزؤام بالصبر الجميل كما كانوا في سالف عهدهم

لقد ركبنا الاخطار عن طيب نفس فجادت التقادير على غير ما انتظرنا فلا نشكو من احد ولا نلوم احداً بل نسلم انفسنا للاقدار عازمين ان نبذل جهدنا الى النهاية

ولكن ان كنا قد خاطرنا بانفسنا لاجل شرف وطننا فاننا نتوقع من ابناء الوطن ان يعتنوا بالذين تركناهم وراءنا وليس لهم ملجأ سوانا

واذا فُتح لنا في الاجل فعندي كلام كثير في وصف شجاعة رفاقي وصبرهم وتحملهم المشاق — كلام يثير النخوة في صدر كل ابناء وطني . ولكن هذه السطور وجيزتنا الماثلة متخبر خبرنا وبقيتي تام ان بلاداً عظيمة غنية مثل بلادنا تعنى بالذين تركناهم في بيوتنا

٢٥ مارس ١٩١٢ ر . سكوت